فينومينولوجيا الشخص وتجربة العيش المشترك ماكس شيلر ولحبابي نموذجا

هشام مصباح

الملخص: مما لا يختلف فيه إثنان أن الواقع اليوم الذي يعيشه الإنسان هو واقع مثقل بالأسئلة المصيرية الحاسمة المتعلقة بالوجود الإنساني وبمجال التقويم الأفعال أي عالم القيم ضمن تقدم علمي رهيب على جميع أصعدة البحث العلمي، هذا الواقع المتسارع في وتيرة نموه وتطوره المادي المحسوب على نشاط العلم وقوته تبعه تأخر في جانبه الروحاني الأمر الذي نتج عنه وقوع الإنسان المعاصر في العديد من الأزمات التي حاول الفلاسفة التعبير عنها من زاوية متعددة، ومن أبرزها التوجه الشخصاني الذي حمل على عاتقه مهمة الخوض في غمار قيمة الشخص وحضور كينونته في العالم المعيش، إنها عودة لسؤال الإنسان ومصيره وحريته.

الكلمات المفتاحية: الإنسان، الشخص، العالم المعاصر، الشخصانية، أزمة القيم.

Summary: It is indisputable that the reality of human life todayis a reality burdenedwith crucial fateful questions related to human existence and the field of evaluation of actions, ie, the world of values within a terrible scientificprogressat all levels of scientificresearch. - In his spiritual aspect, whichresulted in the occurrence of modern man in many crises thatphilosopherstried to express from a multiple angle, mostnotably the personal orientation whichassumed the task of engaging in the value of the person and the presence of hisbeing in the living world. Humandestiny and freedom.

Keywords: Man, Person, Contemporary World, Personality, Crisis of Values.

مقدمة: اليوم وأكثر من أي وقت مضى تعود الحاجة الملحة إلى إعادة قراءة الذات والنظر إليها من عمق قصد تأسيسها قيميا تأسيسا يخضع لجملة المعايير الأخلاقية والإنسانية التي افتقدها الإنسان المعاصر نتيجة زحام الفلسفات المختلفة التي اجتهدت منذ قرون لفهم الإنسان وتفسير الكون والوجود أمام تقدم علمي رهيب مس جميع مناحي الحياة الإنسانية نتيجة تحالفه مع التقنية التي لا يهمها إلا ما يضمن لها تقدمها وصيرورتها الأمر الذي نتج عنه بروز العديد من المفاهيم المعقدة والتي وجد الإنسان المعاصر نفسه داخل دوامتها.

من هنا تكون الحاجة الملحة لإعادة طرح سؤال الذات الإنسانية والغوص في أعماقها وجوهر حقيقتها قصد تأسيسها قيميا وفق جملة المعايير الأخلاقية والإنسانية التي افتقدها الإنسان المعاصر الذي وجد نفسه في أزمة أخلاقية حادة كان هو السبب الأول في وقوعها نتيجة اغترابه عن ذاته وعن واقعه ومثلها العليا التي تضبط وتنظم أفعاله وسلوكياته, فقد تركت أثارا وخيمة أحاطت به من جميع الجوانب تاركة وراءها العديد من الأسئلة الأنطولوجية والأكسيولوجياوالأبستمولوجيا حول الإنسان ومفهومه وغاياته في وجوده ومن ثمة البحث عن ماهية الشخص كما تناولته الفلسفات التي كرست كل أفكارها لإعادة الدور الريادي للشخص الإنساني أي الفلسفة الشخصانية .

التي تكفلت بالبحث في الشخص وطبيعته وقيمه وواقعه المعاش و صولا إلى ما يشكل جوهره ويميزه عن غيره من الموجودات وذلك كله مرده عدم قدرته على الوعي الكامل بذاته وما يحيط به الأمر الذي جعله ينجرف في سيل من الأزمات والانهيارات القيمية على جميع الأصعدة أمام تنامي وهيمنة الفسلفات المادية والوضعية التي أهملت الأسئلة الإنسانية من مجال اهتماماتها, وهذا ما يبينه التيار الشخصاني وسبر أغواره عبر قراءة كرونولوجية في مساره وإرهاصاته التاريخية .

وعلى هذا الأساس سنحاول في ورقتنا البحثية هذه الوقوف عند المحطات الكبرى للفلسفة الشخصانية عند لحبابي ورغبته في التأصيل لفكر عربي إسلامي ينهل من المصادر الإسلامية ويسير وفق ما تتضمنه, الأمر الذي جعله يأخذ منحى جديد في الفلسفة الشخصانية .

أولا: تاريخية مفهوم الشخص:

يجب الإقرار أنه ليس من السهل الإحاطة بمفهوم الشخص إحاطة تامة وذلك لتعدد الرؤى المقدمة حوله من فلسفة إلى أخرى في كل حقبة زمنية .

من المفاهيم حوله نجد أن الشخص يشير إلى الذات الواعية لكيانها المستقلة في إرادتها الحرة في تصرفاتها , وإذا أطلق على الله قيل: الذات, ويقال الشخص في مقابل الشئ ومنه الشخص الأخلاقي الذي توافرت فيه صفات تؤهله للمشاركة العقلية والأخلاقية في مجتمع إنساني بحيث تجعله يميز بين الحق والباطل والخير والشر.[1]

[1]- إبراهيم مدكور, المعجم الفلسفي, القاهرة, 1983، ص, 108.

وجاء في موسوعة لالاند الفلسفية أن الشخص في اللاتينية « personne" تشير إلى القناع المسرحي, ومنه شخصية فنية personnage وتتعارض كلمة شخص مع كلمة شئchose , وقد تم التفريق والتمميز بين الشخص الطبيعي والشخص المعنوي .[2]

فالشخص الطبيعي personne physique فهو جسم الإنسان من حيث هو مظهر لذاته الواعية آو من حيث هو تعبير عن هذه الذات[3] , فهو بمنزلة ظاهرة لشخصه المعنوي وعليه فإن كلمة شخص حتى بمعنى الجسد لا يمكن قولها على جسم الحيوان.[4]

أما الشخص المعنوي personne morale فهو الفرد من حيث اتصافه بصفات تمكنه من المشاركة العقلية والوجدانية في العلاقات الإنسانية ومن شروطه أنه يشعر بذاته عاقلا قادر على التمييز بين الحق والباطل وبين الخير والشر, قادر على التقيد بالعوامل التي تجعل فعله معقولا في نظر الناس .[5]

ويرى علماء الحقوق أن الشخص الطبيعي هو الفرد الإنساني من جهة حقوقه المعترف بها ووجباته المفروضة عليه ومعنى دلك أن العبد الرقيق لا يعد شخصا لحرمانه التمتع بحقوق الرجل الحر أما الشخص المعنوي* أو الاعتباري عندهم فيطلق على الجماعات أو المؤسسات من جهة ما هي ذوات حقوق وواجبات محددة في القانون.[6]

فلفظ الشخص يرجع إلى قبل ميلاد المسيح حيث استخدمه شيشرون دالا به على الدور الذي يؤديه الإنسان المقنع في التمثيلية, إنه الممثل والموجه للمدينة قبل أن يخضع هذا المفهوم لتغييرات جديدة مند فجر المسيحية [7], غير أن ظهور كلمة شخص في المجتمع الروماني لا يعني وجود نزعة شخصانية عندهم فلقد سادت العبودية في المجتمع الروماني إلى ابعد حد في الفظاعة كما سادت العنصرية قوانينه وأعرافه التي كان الرقيق وكثير من الأحرار ضحية لها .[8]

---

[2]- اندري لالاند, الموسوعة الفلسفية,منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 963.

[3]- جميل صليبا, المعجم الفلسفي, ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،1982 ص, 690.

[4]- اندري لالاند, المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت باريس، الطبعة الثانية، 2001., ص, 963.

[5]- جميل صليبا, المرجع نفسه, ص, 690.

[6]- المرجع نفسه, ص, 690.

[7]- SERGE poulin. Personne. Personnage et communication une référencen et un hommage à jean lacroix. Mémoire presente a universite du Qubec A trois- RiviERES.P.18.

[8]- محمد عزيز لحبابي, الشخصانية الإسلامية, ص, 15.

كما ارتبط مصطلح الشخص في الفكر المدرسي خصوصا بالمجالات اللاهوتية المتعلقة بالتجسد « incarnation والثالوث المقدس, إذ يؤمن المسيحيون بأن الله قد حل بجسد المسيح وانه بالتناوب يحل المسيح في جسد كل مسيحي ونفس الشئ بالنسبة لبعض الفرق الشيعية المتطرفة التي عرفت التجسد حيث ادعت أن الله يحل في صور خلقه أي الرسل والأئمة.[9]

أما في الفلسفة الحديثة فهو مرادف للمعاني التالية:

– الشخص هو المنسوب إلى الشخص نقول حق شخصي ورأي شخصي .

– الشخص هو الفردي أي ما يخص إنسان بعينه نقول المصلحة الشخصية وهي ضد المصلحة العامة والنقد الشخصي هو ضد النقد الموضوعي .[10]

من هنا يكون الشخص كل جسم له ارتفاع وظهور والمراد به إثبات الذات فأستعير لها لفظ الشخص الذي يتضمن تحقيق الذات الكامنة في الفرد بعد وعيها لذاتها وإدراكها لما يميزها عن غيرها فهو يعني الظهور والتميز والعلو والتجاوز.[11]

1– الشخص والشخصية :الشخصية* عند القدماء الشخص الفردي أو الفردية وعند المحدثين يعني جملة من الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والعقلية التي تحدد هوية الفرد وتميزه عن غيره .[12]

ويعرفها لحبابي بقوله: " هي الكائن المتأطر في الزمان والمكان والذي يبقى معادلا لنفسه من هذه الوجهة فهي ما نحن عليه وما نملكه في نفس الوقت أي بطاقة هويته التي تحمل قسمات الوجه , لون البشرة, المهنة, تاريخ الولادة, وأحواله المدنية التي تحدد وضعه الراهن ...إنها اللحظة مثلما هي في الفلسفة الوجودية كونها ليست إلا فترة من التشخصن وتزمن الكائن البشري في الحال فهي ما يكون عليه الكائن البشري بصفاته وملامحه وأفعاله وبالتالي غير ثابتة بل في تحول مستمر.[13]

---

[9]- حسن الكحلاني, الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر,مكتبة مدبولي القاهرة, الطبعة الأولى2004, ص, 189.
[10]- جميل صليبا, المرجع السابق, ص, 691.
[11]- حسن الكحلاني, المرجع نفسه, ص, 188.
[12]- جميل صليبا, المرجع نفسه, ص, 692.
[13]- كريمة طبوش, الشخصانية عند لحبابي, المرجع السابق, 49.

وعليه فالشخصية تشير إلى تلك المميزات الخاصة التي يتميز بها الإنسان الفرد بطريقة واضحة عن شخص أخر, حيث يبدأ الشخص في تكوين شخصيته عند رفضه لأي قوة عمياء مهما كانت ومن أين أتت وعندما يقر بأن القيمة العليا في الإنسان هي العقل والقيم الأخلاقية والمجتمعية .[14]

2- الفلسفة الشخصانية والبحث عن قراءة جديدة للشخص : يذهب معظم مؤرخي الفلسفة أن الفلسفة المعاصرة التي ميزت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في الفكر الفلسفي الغربي أنه بداية أزمة ميزت الإنسان المعاصر الأمر الذي نتج عنه ظهور الكثير من الحركات الفكرية الفلسفية الجديدة التي تختلف في نسقها العام عن التيارات الفلسفية التي سبقتها حيث مست جميع جوانب الحياة الأوربية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية الأمر الذي نتج عنه ظهور العديد من النظريات والمذاهب التي جعلت أولويتها الأولى مشكلة الإنسان وإنسانيته فظهرت العديد من التيارات الفلسفية ومنها التيار الشخصاني.

إن لفظة شخصانية* مأخوذة من كلمة شخصية أو من لفظ "شخص" وبمقارنة مصطلح الشخص بمصطلح الشخصانية نجد أنها حديثة نسبيا حيث تشير إلى خلق فلسفة جديدة منبثقة من شخصية الإنسان وقدراته وأبعاده الإنسانية والأخلاقية تنبع من داخله وتحاول حل مشكلاته من زاوية إنسانية دون أن تملى عليه شروطا خارجة عن واقع تركيبه وأبعاده البشرية وقيمه الداخلية .[15]

ما يفهم من هذا أن الشخصانية محاولة لرد الاعتبار للشخص الإنساني ومكانته الحقيقية في العالم بعد ما تم تغييبها بفعل سيطرة الفلسفات المادية من جهة والفلسفات المثالية من جهة ثانية فكانت بمثابة كفتي الميزان الذي يعيد للشخص قيمه وكرامته .

فقد أرادت تركيز رؤيتها للإنسان في كينونته المستقلة عن الأخر وتواصله معه في الوقت نفسه بوصفه كائن اجتماعي بطبعه مثلها في العصر المعاصر ثلاث تيارات كبرى هي شارل رونوفييه, جان لاكروا, امانويلمونييه فهي حركة فكرية وليست مذهبا فلسفيا .[16]

لماذا العصر المعاصر بالذات لأنه عصر التناقضات والأزمات التي أفرزتها الرأسمالية وما خلفته من سيطرة الآلة اقتصاديا والنزعات الفردانية المنفعية الأمر الذي انعكس على الفرد وإفراغه من طاقاته الأخلاقية

---

[14]- حسن الكحلاني, المرجع السابق, ص, 191.

[15]- حسن الكحلاني،المرجع السابق, ص, 193.

[16]- روجي غارودي, نظرات حول الإنسان, ترجمة يحي الهويدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1983., ص, 203.

الروحية فوقع في أزمة قيم قاتلة جردته من معاني القيم والحرية والكرامة والاستقلالية بل أضحى مغتربا حتى على ذاته.

وبالتالي فهي فلسفة تدعوا إلى الحرية وترفض كل القيود التي تلغي حرية الشخص وإبداعه ورفض العزلة لأنها تدعوا الشخص إلى أن يكون فاعلا ومندمجا في المجتمع دون فقدان ذاته عكس الفردانية[17], ويعد شارل رونوفييه من أوائل من تحدثوا عنها خصوصا في كتابه الشهير الشخصانية سنة 1903. [18]

3- أهم الفلسفات الشخصانية :

- الشخصانية عند شارل رونوفييه: لقد أولى عناية فائقة بالفلسفة الشخصانية حيث يلقب بزعيم الشخصانية الفردية " يعرفها بقوله:" إنها مذهب الشخصية الذي يلزمنا بمهمة البرهنة بحجج منطقية أولا و أخلاقية بعد ذلك " فهو يؤكد على أن معرفة الشخص بصفته شعورا وإرادة هي أساس كل المعارف الإنسانية .[19]

فقد أراد تأسيس فلسفة للشخص من خلال ما دعاه بفلسفات الجوهر وعلى الرغم من تأثره بكانط فقد رفض فكرة المطلق والشيء في ذاته.[20]

وعلى هذا الأساس اعتبر الشخص كيان قائم بذاته مستقل عن غيره مرتبط بواقعه النسبي وخبرته المعاشة مؤمن بالحرية إيمانا عميقا كونها الركن الأول في مذهبه ومن أجل تجسيدها واقعيا جعل من الشخص ذات مستقلة وحرة مبنية على أساس نفساني كونها تمثل شكلا من أشكال الوعي المرتبط بشعور الإنسان وحركة يعيها وبالتالي لا يمكن إخضاعها لبرهان عقلي أو تفسير حسي إنها تجربة يحييها و يعايشها على مستواه الخاص .[21]

---

[17]-حسن كحلاني، المرجع نفسه, ص, 193.

[18]- منير سبغيني, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1982,ص, 83.

[19]- محمد عزيز لحبابي, دراسات في الشخصانية الواقعية من الكائن إلى الشخص , ج1, دار المعارف, القاهرة , ط2, ص,111,112.

[20]- محمد وقيدي, جرأة الموقف الفلسفي, ص, 152.

[21]- محمد عزيز لحبابي, المرجع السابق, ص, 112.

-الشخصانية عند جان لاكروا:لقد كتب جان لاكروا قائلا: لقد أرادت فلسفة الشخصية الإنسانية أن تقتفي على نحو ما أثر فلسفات الذات من أجل أن تلقي بها في خضم العالم الطبيعي والاجتماعي.[22]

ويفهم من هذا ضرورة الربط في الإنسان بين العالم الفيزيائي والعالم الاجتماعي والاعتراف بحقوقه للمشاركة في موضوعية الطبيعة والتاريخ فكل بناء فكري يدعي أنه قدم لنا الكلمة الأخيرة وأنه جهاز اكتملت هيئته مازال يعوزه أشياء وأشياء, حيث ركز على جانبين مهمين في الفلسفة الشخصانية هما أولوية الذات(الكوجيطو) و حضور الآخرين في مجال الكوجيطو, بمعنى ضرورة التأكيد على حضور الذات واستقلالها من جهة وتواصلها ومشاركتها الآخرين من جهة ثانية وبالتالي فنقطة البدء هي الكوجيطو بمعنى الشك والتعلق فكل تفكير وكل فعل إنساني ينبعان من الحرية الروحية. [23]

ومنه يلح جان لاكروا على ضرورة ربط الشخص الإنساني بواقعه ولن يكون له ذلك إلا من خلال الاعتراف به كذات واعية حرة تقرر مصيرها بنفسها تملك من الكرامة والاستقلالية التي تثبت وجودها الفعال في العالم.

4- مونييه والتأسيس الفعلي للشخصانية : يعد ايمانويل مونييه الفيلسوف الشخصاني الأكثر شهرة لما جسدته فلسفته من قيم تتمركز كلها حول الشخص ومصيره حيث تعتبر بمثابة الرؤية الكونية للشخص الرافض لما يفرض عليه وما يقرر بدلا عنه الأمر الذي أكسب فكره بعدا ثوريا مستوحى من قراءة واستقراء واقع الفلسفات التي سبقته ونظرتها المختلفة للإنسان والتي لم تفلح حسبه في إخراجه من واقعه المرير المسيطر عليه من طرف الفلسفات النفيعة والوضعية .

---

[22]- روجي غارودي, المرجع السابق, ص,203.
[23]- روجي غارودي،المرجع السابق, ص, 203.

مع هذا الفيلسوف تتخذ الشخصانية بعدا أخر أكثر شمولا والتزاما لاتساع نشاطها وتطرقه إلى ميادين الحياة اليومية للإنسان, فأضفت مفهومها الواضح والصريح على معنى السياسة ومعنى الحياة الاجتماعية ككل.[24]

فقد ألح مونييه على ضرورة تجسيد البعد الشمولي لفلسفته مادام الإنسان واحد ومصيره مشترك وبالتالي لا يمكن التركيز على مجال واحد يخص الشخص الإنساني دون غيره من المجالات وهي نفسها الأخطاء التي وقعت فيها الفلسفات السابقة وعلى الخصوص الماركسية .

يرى مونييه أن الشخصانية عبارة عن نسق فلسفي يتمحور حول الشخص مركزا على تأنسنه لأن الجنس البشري وحده من يصنع التاريخ كونه يسهم في حياة مجتمعه ويصارع مجاهيل الطبيعة لكشف أسرارها وألغازها وتسخيرها لخدمة مصالحه. [25]

وهكذا فقد نعم الإنسان أو الشخص بحجمه الأصيل بالنسبة إلى العالم حيث اعتبرته الشخصانية المحور الأساسي للكون, والتشخيص هو المعنى الأصيل والجوهري لحياة الإنسان فعلى الشخص البشري أن يشخصن العالم.

حيث يقول: " إن ما يدعى شخصانية اليوم ليس شيئا أقل من أن يكون جديدا فعالم الشخص هو عالم الإنسان ومن غرائب الأمور أننا انتظرنا حتى القرن العشرين في سبيل اكتشافه وإن كان ذلك تحت أسماء أخرى, إذ أن الشخصانية الحاضرة ذات صلة بتقاليد قديمة .." [26]

كون هذه الفلسفة رافقت الإنسان مند بواكير وجوده في معالجة قضاياه المختلفة ومتأملة في مشكلاته المعقدة ومحاولة البحث عن إجابات مقنعة لكل أسئلته المحيرة من قبيل تلك الأسئلة المرتبطة بمصيره وهويته وتاريخه والتي يتم تغييبها باستمرار في كل مرة و هو الأمر جعل من الشخصانية تدق ناقوس الخطر أمام ما وصل إليه العالم الغربي من أزمات الأمر الذي حتم

---

[24]- منير سبغيني, المرجع السابق,ص,83.
[25]- إمانويلمونييه, هذه هي الشخصانية, المرجع السابق,ص,5.
[26]- المرجع نفسه,ص, 4.

إعادة تشكيل منحى جديد يأخذ بعين الاعتبار الواقع الحقيقي للإنسان المعاصر فلا يمكن حصره ضمن التفسيرات الآلية المحضة التي جعلت منه شئ كباقي الأشياء أو إلى التفسيرات الأخلاقية المثالية التي جردته من عواطفه وواقعه ألتشاركي مع غيره .

وعلى هذا الأساس يكون الشخص عنده كائن روحي موجود من خلال ارتباطه بالقيم الدينية التي يعتنقها بحرية ويلتزم بها ويكون مسئولا أمام الآخرين, فالشخصانية بهذا التوجه تهدف إلى إيجاد ثورة سياسية, اجتماعية وفكرية تؤكد مكانة الشخص الفاعل والمنفتح على غيره .[27]

من هذا المنطلق تكون الفلسفة الشخصانية محاولة جدية لدمج الروحي بالمادي مع إعطاء الأولوية للجانب الروحي وهو الأمر الذي يبرر مشروعية التواصل مع الأشخاص وفق منظومة القيم وروابط المحبة والإخلاص بينهم تجسيدا لعلاقة التعاطف والتشارك مع بعضهم البعض, وهنا نلمس إجابة صريحة عن الرفض الموجه من طرفه للمثالية المجردة التي لا علاقة لها بالواقع المعيش من جهة والماركسية المادية الرافضة للجانب الروحي ألقيمي, لأنه لا يمكن تصور وجود قيم روحية غير مجسدة واقعيا أو أن نجعل من الواقع مجرد قيم روحية موجهة له إنها محاولة التزاوج بين مجال الفكر ومجال الفعل في حركية تفاعلية متزنة دون تغليب طرف على أخر.

ومنه فقد أراد مونييه تشريح الحضارة الأوربية التي تتجه إلى كارثة محققة لا سبيل لتجنبها إلا عن طريق إعادة النظر الجذرية في قيم هذه الحضارة ومبادئها فقد نفر من المجتمع البرجوازي لان الجشع للتملك قد أفسده وتفشى فيه قهر الإنسان وضحى فيه بالحاجات الحقيقية للإنسانية, كما أن الماركسية ليست العلاج الأمثل لهذه المجتمعات كونها انغمست في المادية وخانت بدلك حاجات الإنسان الروحية.[28]

---

[27]- حسن الكحلاني, المرجع السابق, ص, 278.

[28]- عبد الرحمن بدوي, الموسوعة الفلسفية الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1984,ص, 496.

ولن تعاد هذه الحاجات الروحية إلا بواسطة المطالبة بالتغيير الفعلي لقيم الإنسان ومؤسساته لأن القهر ليس فقط واقعة اقتصادية أو سياسية بل هو في نسيج قلوبنا لأن الشر مصدره الحضارة التي جعلت من الإنسان فردا مجردا مقطوعا عن الآخرين وعن الطبيعة, وديكارت بتأسيسه للروح الحديثة فقد كرس هذا الانشقاق.

ثانيا: نظريةالشخصعندشيلركمحاولةلتأسيسالشخصانيةالأخلاقية:

لقد احتلت مشكلةالإنسان مكانة سامية في فلسفة ماكس شيلر، فهو وحده من يملك القدرة على استخلاص ماهيته من الوجود ما جعله مخلوقا فريدا له استقلاله الذاتي من جهة واتصالهبجانبه الاجتماعي واندماجه في المجتمع من جهة ثانية.[29]

إنه كائن معقد متعدد الجوانب والأبعاد، الأمر الذي نتج عنه تعدد العلوم التي انكبت على دراسته والكشف عن مكنوناته،انطلاقا من جانبه البيولوجي والسيكولوجي والأنثروبولوجي والجغرافي وغيرها، فإن له جانبا أخر أكثر أهمية به يتحدد وجوده الفعال وقيمته داخل المجتمع من خلال علاقاته مع غيره من الذوات، ألا وهو البعد الأخلاقي القيمي، فالإنسان يمثل الكائن الأخلاقي الذي يعرف القيم والأخلاق والمثل العليا، لذلك احتل مكانة جوهرية في مملكة القيم الشيلرية،إنهالمتربع على عرش القيم جميعها، فلا معنى لها من دونه لذلك كان توجهه منذ بداياته الأولى نحو سؤال الإنسان ومشكلة الشخص، فما هي الأسس العامة التي بني عليها المشروع الشيلري؟ وما هي مكانتهالحقيقية؟ وعلى أي أساس يتحدد مفهومه وطبيعته وأبعاده المختلفة؟ وهل يمكن حصر الشخص في بعده الجسدي أو النفسي فقط ؟ أليس له أبعاد أخرى بها تعرف ماهيته وتتحدد؟

---

[29]– وفاء عبد الحليم محمود، فلسفة القيم عند ماكس شيلر، ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية،2004.، ص، 411.

1- سؤال الشخص انبثاق عن أزمة الإنسان المعاصر: إن انطلاقة ماكس شيلر في تحليله للشخص الإنساني مقرون بشكل اساسي بمشكلة الإنسان المعاصر، هذه المشكلة المتعددة الأبعاد، الأمر الذي جعل منها مشكلة معقدة متداخلة في ما بينها، حيث تعددت الحقول المعرفية التي عبرت عن مشكلة الإنسان المعاصر دون أن تصل إلى رؤية موحدة حولهوهي الفكرة المميزة لفلسفة شيلر في تشريحه لماهية الشخص الإنساني دون حصره في مجال واحد.

هذه الأبعاد المعبرة عن الأزمة التي يعاينها العصر الحديث والمعاصر أكثر من أي عصر أخر موضحا مختلف العوامل التي أدت إليها، مثل السيطرة المطلقة للعلم المادي وسيادة النزعات الوضعية والنفعية في غياب اهتمام بمحور الوجود الإنساني في طابعه الروحي والأخلاقي والاجتماعي، حيث يقول في هذا الصدد: " لم يكن الإنسان على مر التاريخ موضع نقاش واهتمام مثلما هو عليه اليوم، حيث نرى اليوم كل الاتجاهات العلمية والفلسفية والدينية والأنثروبولوجيا غير متقاربة وغير متفاعلة مع بعضها، إضافة إلى مجالات التخصص المتزايدة باستمرار والتي تتناول قضايا الإنسان حاجبة الذات البشرية أكثر من أن تزيح الستار وتزيل العوائق عنها"،[30] وعليه فقد أصبح الإنسان مشكلة رغم تعدد العلوم التي حاولت تقديم مفهوم موحد له يعبر تعبيرا أمينا عن ماهيته وموقعه في العالم، وبالتالي نشهد عودة قوية للفلسفة الشخصانية بوصفها حضينة الشخص، والمعبرة عنه وعن قضاياه المختلفة أمام التقدم العلمي الكبير الذي يعرفه العالم خصوصا في القرن العشرين، وما نتج عنه من تغيير الكثير من المفاهيم المعبرة عن الذات الإنسانية وعلاقاتها بغيرها.

فالميزة الجوهرية التي تفصل شيلر عن غيره من الفينومينولوجين، والتي تشكل نقطة محورية في كل مذهبه تكمن في تعريفه للكائن الإنساني بوصفه شخص مقارنة بين الذات المتعالية الهوسرلية، وفكرة الذزاينالهيدغرية، أو فكرة الجسم المعاش عند ميرلوبونتي لذلك كان

---

[30]- Max Scheler. La situation de l'homme dans le monde. Trad. par M. Dupuy. Edition Montaigne. 1951. P.17.

التوجه الشيلري مغاير لكل الفلسفات السابقة في تصورهم للشخص الإنساني بغية ضبط مفهومه وخبرته الواقعية الفينومينولوجيةالمعاشة،[31] فاختيار شيلر للشخص له عمقه الدلالي بغية ضبطه وتحديدهلهذه الطبيعة الخاصة به، والتي تتطلب العودة إلى الإرث الكانطي حول مفهوم الشخص، ومن بعد ذلك إعادة تعريفه من جديد وفق رؤية مغايرة له.

انطلاقا من الوصف المحدد للشخص الإنساني كما ورد في إطار فلسفة الأخلاق الكانطيةالتي من خلالها يكتسي الشخص طابع الحرية والاستقلالية التي تفصله عن بقية الموجودات، وتوسمه بوسام الكرامة الإنسانية المعبرة عن قيمه المطلقة اللامشروطة واللانهائية،[32] فالرؤية الكانطية قد جعلت من الشخص مجرد شخصا عقليا أي دو طابع عقلاني فقط يملك قيمته في ذاته بوصفه غاية وليس مجرد وسيلة، فالشخص ما هو إلا مجرد فاعل منطقي للأفعال المعقولة، أي تلك الأفعال الخاضعة لقوانين الإرادة والنية الطيبة ليكون في النهاية مجرد تسلسل لنشاط عقلي عملي.[33]

هذا التصور العقلاني المجرد للشخص الإنساني يرفضه شيلر كونه يؤدي إلى الإغراق في الصورنة والتجريد ويفصله عن واقعه، في حين لا يمكن فصل الشخص عن عالمه وواقعه وتجربته المعاشة المسايرة لأخلاقه المادية التي لا تقبل الصورية والمثالية .

فلا يمكن رد الشخص إلى مجرد شيئا موضوعا للتفكير بعيدا عن خبرته المعاشة، فهو ليس شيئا أو جوهرا بل على العكس تماما من ذلك، إنه الشكل المباشر للخبرة المعاشةالخاصة بالشخص الإنساني المتجلية في واقعه الحياتي المعاش.[34]

---

[31]- Maxime Gaborit. Personne modèle et types chez max Scheler. Université de Nantes. Département de philosophie. Master de philosophie 2eannée . séminaire l' éthique. Année 2016-2017. P. 11.

[32]- Max Scheler. Le formalisme. Op. cit. p.12.

[33]- ibid. P. 377.

[34] -Max Scheler. Le formalisme. Op. cit. p. 377.

من هنا يرى شيلر أن تصور كانط للشخص ستؤدي به إلى الاعتراف بكل شيء ما عدا استقلاله، بمعنى جعله تابعا وخاضعا لمختلف قوانينه العقلية، وهذا منافي لمبدأ الكرامة والاستقلالية التي نادى بها.[35]

فدفاع كانط عن العقل نابع من موقفه تجاه الحرية الإنسانية الكامنة في خضوعه للقانون الأخلاقي المطلق القائم على مبدأ الواجب الذي لا يسمح له بالتساؤل عن ماهية الفعل بل الإصغاء لصوت العقل الآمر بالفعل، فالشخص ليس ملكة عقلية بل وحدة تجريبية مجربة ومباشرة معا بمعنى التركيز على الطابع الواقعي للشخص.[36]

ليكون الخطأ الذي وقع فيه كانط، كامن في توحيده بين العقل والشخص، فإدراك الشخص لا يعني الجوهر أو العقل بل يعني الأفعال أي من خلال تجربته الواقعية وليس في مجاله الفكري المجرد، وبالتالي لا يمكن حصر مفهوم الشخص في جانبه العاقل فقط كما فعلت الفلسفة الكانطية، بل يجب التركيز على جوانبه الأخرى خصوصا ما تعلق بالجانب الداخلي المعبر عن تجربته الوجدانية والعاطفية التي تضفي على وجوده طابعا قيميا يتجلى في علاقاته مع غيره.

كما يرفض شيلر التصور الماركسي الذي جعل قيمة الإنسان مقرونة بمكانته ضمن الكل الاجتماعي، جاعلا من الشخص هو من يضع تاريخه بنفسه، ولكن داخل وسط يقيده فليس شعور المرء هو الذي يحدد وجوده بل وجوده هو من يحدد شعوره[37]، بمعنى أسبقية الوجود على الجانب الباطني الشعوري في الشخص الإنساني، في حين تكون الحقيقة مخالفة لهذا التصور وفق شيلر الذي يؤكد على البعد الحميم للشخص .

---

[35]- ibid. p. 378.

[36]– ظريف حسين، مفهوم الروح عند ماكس شيلر، المرجع السابق، ص، 203.

[37]– وفاء عبد الحليم محمود، فلسفة القيم عند ماكس شيلر، المرجع السابق، ص، 432.

من هذا المنطلق تكون طبيعة الإنسان عند شيلر غير مقتصرة على جانبه العقلي المنطقي فهو ليس جوهرا مفكرا فقط بل يشمل الفعل والانفعال والعاطفة والشخصية المعبرة عن وحدة أفعاله التي يؤديها مثل الحب والكراهية والزهد والتوبة والاهتمام، وغيرها من الظواهر الأخلاقية التي تتدخل في وجوده ومصيره.[38]

فدلالة الشخص تتحدد من خلال وضعه الخاص كما هو معطى في العالم، رافضا مختلف التفسيرات الكلاسيكية حول طبيعة الشخص الإنساني من قبيل الذات والروح والنفس فكل هذه المفاهيم هي مفاهيم فلسفية قديمة، لا تكشف عن جوهر الشخص المدرك بحدس وجداني فينومينولوجي معبر عن قيمه الخاصة، التي تحدد بشكل فوري ومباشر مميزات الشخص في قلب فعل المحبة.

فقد أراد شيلر من خلال نظامه الشخصاني المحدد لطبيعة الشخص ومكانه الحقيقي في العالم التأسيس لمنظومة أخلاقية قيمية ذات طابع كوني شمولي، حيث يلعب فيها الفرد الدور الحاسم في الوجود، فكل شخص يمثل معيار خاص به يتماشى مع عمله وحضوره في العالم، أين يتجلى فعل المشاركة مع غيره بوصفه فعلا حامل للقيم.[39]

ثالثا– الشخصانية الإسلامية عن محمد عزيز لحبابي:إن الشخصانية الواقعية أو الإسلامية كي نسميها بأحب الأسماء إلى صاحبها هي قبل كل شيء ضرب من الانطولوجيا الاجتماعية تقوم على العلاقة الجامعة بين الأنا والغير وعلاقة الذات بالمجتمع فهي ذات تفريعات وامتدادات كونها تعد فلسفة في القيم كقيمتي الكرامة والحرية, وأيضا فلسفة في الثقافة والحضارة وحتى فلسفة في التقانة.[40]

---

[38]– زهير الخويلدي، تشريح العقل الغربي، المرجع السابق، ص، 216.

[39]- Max Scheler. Le saint.le saint. Le héros. Emile Marmy.Emmanuel vitte.editeur3 place belle cour 10 rue jean-bart.lyon.paris.1958. p. 94.

[40]- عبد الرزاق داوي ,مجموعة من المؤلفين,محمد عزيز لحبابي, الشخصانية والغدية, المركزالعربي للأبحاث ودراسة السياسات, ص, 49.

لقد أراد لحبابي من خلال فلسفته الشخصانية محاولة تشخيص الواقع الإنساني الإسلامي من خلال العودة إلى المصادر الدينية و إعادة قراءتها قراءة جديدة تأخذ بعين الاعتبار الشخص و تجربته المعاشة, إنها دعوة الذات الإسلامية للعودة إلى ذاتها من جديد بعد أن اغتربت عن ذاتها وعن وواقعها.

فالشخص ليس مجرد شخصية أزيل عنها القناع بل صيرورة تطغى عن كل تحديد لما لها من غنى وإمكانيات, إنه مركز الثقل واتصال الكائن بالشخصية الحاضرة وملتقى الشخصيات الماضية , فالشخصية تستند على الإرادة والإرادة تخلق في الوعي الإثارات الأولية التي تطبعه بطابع الحيوية فهو سلسلة من الأفعال الإرادية .[41]

وعليه يكون الشخص انبثاق عن الكائن وهذا الأخير لا يكون كائنا بشريا إلا إذا حبل بالشخص.

هذا الأخير الذي يشير إلى الأنا المقنع إما ليختفي وراءه وإما للتقليد قصد كتمان حقيقته, فكل شخص يلعب دوره تحت أقنعة الشخصيات, إنه وعاء يحوي العديد من الإمكانيات اللامحدودة من الشخصيات التي تمكنه من التفتح على الغير ومشاركة ذاته مع المجموع البشري حيث يتم التحرر من الأنانية الأمر الذي يكسبه ثروة وحرية لا حد لهما تجعل منه يسعى لبلوغ هدفه والارتقاء إلى الإنسان ولن يكون دلك إلا بالقدر الذي يشعر فيه أنه مجموع الآخرين. [42]

إنها تشريح لمشكلة الإنسان أو الشخص التي تكمن في ابتعاده عن تراثه وثقافته ورسالته المميزة له كإنسان يحمل في صميمه حقيقة وجوده ككائن مميز مخلوق على صورة الله ومثاله الأمر الذي يجعل منه في حالة يأس وجودي مفكك ومجروح.[43]

وبهذا تكون الشخصانية تعبير عن معاناة الإنسان تجاه وجوده وما يحييه في واقعه المعاش, إنها تعبير عن معاناة حياتية مشكلتها الرئيسة الإنسان ووجوده وحريته وإرادته.

خاتمة: من خلال هذه الورقة البحثية التي حاولت الغوص في جوهر الفلسفة الشخصانية بوصفها فلسفة الإنسان وواقعه المعيش، التي قدمت تصورا جديدا للشخص يتوافق مع واقع الإنسان الراهن وهمومه فقد

---

[41]- محمد عزيز لحبابي, من الكائن إلى الشخص, المرجع السابق, ص,85..
[42]- كريمة طبوش, المرجع السابق, ص, 53.
[43]- منير سبغيني , المرجع السابق, 13.

تمخضت عنه العديد من النقاط الأساسية المعبرة عن قيمة الشخص وواقعه سواء داخل الفضاء الغربي أو تجليات الشخصانية في الواقع العربي الإسلامي.

الهوامش:

1. محمد عزيز لحبابي، دراسات في الشخصانية الواقعية من الكائن إلى الشخص، ج1، دار المعارف القاهرة، ط2.

2. منير سبغيني، الشخصانية الشرق أوسطية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1982.

3. ظريف حسين، مفهوم الروح عند ماكس شيلر، دار النهضة العربية، القاهرة، 1998.

4. روجي غارودي، نظرات حول الإنسان، ترجمة يحي الهويدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1983.

5. حسن الكحلاني، الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الأولى 2004.

6. اندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت باريس، الطبعة الثانية، 2001.

7. وفاء عبد الحليم محمود، فلسفة القيم عند ماكس شيلر، ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية،2004

8. جميل صليبا، المعجم الفلسفي ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،1982.

9. عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية،الموسوعة الفلسفية الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،

10. ايمانويل مونييه، هذه هي الشخصانية، ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، د ط، د ت.

المراجع بالفرنسية:

[1]- SERGE poulin. Personne. Personnage et communication une référencen et un hommage à jean lacroix. Mémoire presente a universite du Qubec A trois- RiviERES.P.18.

[2]- Max Scheler. La situation de l'homme dans le monde. Trad. par M. Dupuy. Edition Montaigne. 1951. P.17.

[3]- Maxime Gaborit. Personne modèle et types chez max Scheler. Université de Nantes. Département de philosophie. Master de philosophie 2[e]année . séminaire l' éthique. Année 2016-2017. P. 11.

[4]- Max Scheler. Le saint.le saint. Le héros. Emile Marmy.Emmanuel vitte.editeur3 place belle cour 10 rue jean-bart.lyon.paris.1958. p. 94.